

يحدث في مدن القصيدة

. سوزان إبراهيم .

(لأرواح الشهداء الأطفال السوريين:
من قضى منهم... ومن ينتظر)



سوزان إبراهيم

صحافية وشاعرة سورية.

مثل قطة بيد مغمدة المخالب،
تعابثُ ريما خشب باب القصيدة.
كانت أطول من زنيقة بديّة..
وأقصر من مقبض الباب بضحكتين.
ريما ابنة أحزان شاعرٍ
مرغماً تخلّى عنها لدار اللغة لرعاية الأيتام.



مبلّلة بالتردد تحدّقُ بي
أتريدين اللعب؟
هزت ضميرتين ذهبيتين.. وأهدأنا كفاية ساقانا.
في ذاك الضحى
لا أطفال.... لا أراجيح في الحديقة.
وقبل هطل تبرعم في عينيها
غطيتُ ريما بشال انتظار.



مندهشين من رسم كومبيوتريّ لأمتعي،
اتهمني عناصر التفتيش بتهريب ممنوعات من الصرف!
في حقيبة يدي الصغيرة عثروا على
دمى بالبسة حريرية،
وأخرى محشوة بأصابع السكر وغزل البنات.
من حقيبة سفري الكبيرة،
تندرج أسواره «جورجي» المزرکشة بألف حكاية يتم.
أرانب «أليس» البيضاء
بين أقدام دهشتهم تتراكم.. وتضمّص جزر التقارير السوداء!

«جولي كور»، المشاغِبُ في فرقة ريمي،
يحمطُ على رأسٍ كبيرهم.. فيحتاج.
بخطى وثيدةٍ وعيونٍ برّاقة، تنمو عنزةً «هايدي»
حين أمسك بيتر بعنقها دفنت رأسها في صدره
ثم...

أشرقت ضحكة ريمّا المحفوظة جيّداً في قطعة شوكولا.



الحدودُ مغلقة.. والخذقُ المكهربُ يسوّرها
فكيف أدخلت كل هذا إلى البلد؟
- يا أستاذ...
لسمعتي نظرةً حادةً.
- عفواً يا سيّد...
جلدتني النظرة عينها.
- يا سيبي... ددد... دي
(ومطرقةً تدق مسامير الخوف في لوح قلبي)
صوتٌ يقول:
- هويتك يا سيّدة!
(رّباه... هل أعطيه الحمراء أم الخضراء؟)



في باحة التفتيش
جورجي، أليس، ريمي، هايدي، بيتر، وريما...
تحوك أيديهم خاتم ضوء
يدورون... يفتنون:
«هالصبصان شو حلوين... عم يدوروا حول أمهن مبسوطين
«.....»

ضحكوا..

ضحكوا..

ضحكوا....

حتى اهتز قلبُ الله.

يجلس الجميعُ إلا ريمّا

تدورُ ويدُها على رأس كل منهم:

-رن.. رن يا جرس!

يرددون: «حوّل واركب ع الفرس»

. طاق طاق طاقيّة!

يرددون: «طاقيتين بعليّة!»
تضحك ريمّا.. تضحك.. وتبسى...
أنّ كوبرا سكّين لدغتها صباح أمس!



دخلت المدينة.

. أشياؤك هذه ممنوعة يا سيّدة.

لكن...

كرمي لهويتك الحمراء سندعك هذه المرة فقط!

صخبُ الأطفال يشرقط مثل فرج غزيرٍ عابر

لم نجد بائع الفول النبات

والعربة الموشاة بمربطانات الكّمون والملح والسّماق... وبكومة

من الليمون!

لم نجد:

كراسي القش الصغيرة المرّبعة،

بائع الذرة الصفراء الساخنة،

بائع الكستناء المنفتح بياضها الأسمر على غلاف بني مشوي،

بائع الترمس.

ولم يمر بائع باقات النرجس!



هل نشترى البيوظة؟

صرخ الأطفال بأعلى غبظتهم: شوكو..لامو.....

حاجز آخر يطلب هويتي!

يتفقّدنا بعين حذرة:

. هذه الأشياء ممنوعة يا سيّدة،

لكن...

كرمي لهويتك الخضراء سنغض الطرف هذه المرة فقط.



مشى أطفال كفرقة كشافة تقني:

«نقطع الدروب... نقرح القلوب

ولنا في كل شارع صديق

نقطع المدى... لا نُؤذي أحدا

نزرع الأزهار في طول الطريق..»